

رواية

ريح الجنوب

تأليف
عمارة عبدالملك



2025

رواية من عشرين فصلاً، تتشابك فيها
أسرار الماضي مع خيانات الحاضر، وتتحول
فيها رياح الصحراء من ظاهرة طبيعية إلى
شاهد على جريمة ظلت مدفونة سنوات
طويلة. وفي النهاية، لن يكون القاتل هو
الشخص الذي تتوقعه، ولن تكون الحقيقة
كما بدت طوال الرواية.

ريج الجنوب

تأليف: عمارة عبدالمالك

كلمة المؤلف

رواية: ريح الجنوب

ليست الرواية مجرد حكاية تُروى، ولا هي كلمات تُسطر على صفحات الورق، بل هي نافذة نطل منها على أعماق الإنسان، ونحاول من خلالها أن نفهم الحياة بكل ما فيها من أفراح وأحزان، وآمال وانكسارات، وصراعات بين ما نريده لأنفسنا وما يفرضه علينا الواقع.

في هذه الرواية، أحاول أن أقرب من الإنسان الجزائري، من جذوره الممتدة في عمق الأرض، ومن ذاكرته التي تحمل آثار الماضي، ومن أحلامه التي لا تزال تبحث عن طريقها وسط رياح التغيير. فالجنوب ليس مجرد مساحة جغرافية، بل هو عالم من الحكايات، ومخزون من القيم والتقاليد، وفضاء تتصارع فيه الطبيعة مع الإنسان، والماضي مع الحاضر، والأمل مع اليأس.

لقد اخترت عنوان «ريح الجنوب» لما تحمله الريح من دلالات متعددة؛ فهي قد تكون بشارة بتغيير قادم، وقد تكون عاصفة تقتلع ما ظنناه ثابتًا، وقد تكون همسة بعيدة توقظ في النفوس ذكريات ظلت نائمة لسنوات طويلة. وهكذا هي الحياة، لا تستأذن أحدًا حين تأتي

بتحولاتها، ولا تنتظر حتى نكون مستعدين لمواجهة ما
تخبئه لنا الأيام.

إنني لا أكتب لأحكام الأشخاص، ولا لأوزع صكوك
البراءة والإدانة، بل أكتب لأطرح الأسئلة التي كثيراً ما
نخشى مواجهتها، ولأمنح صوتاً لمن ظلوا طويلاً خلف
جدران الصمت. أكتب عن الإنسان حين يجد نفسه
محاصراً بين رغباته وواجباته، وبين أحلامه وقيود
المجتمع، وبين الحقيقة التي يعرفها والقناع الذي يُجبر على
ارتدائه.

وقد يجد القارئ بين سطور هذه الرواية شيئاً من
حياته، أو ملامح من أشخاص عرفهم، أو صدى لحكايات
سمعها في طفولته، أو ذكريات ظن أنها طويت إلى الأبد.
فالأدب الحقيقي، في نظري، هو الذي يجعلنا نرى أنفسنا
في وجوه الآخرين، ويمنحنا القدرة على الإصغاء إلى
الأصوات التي لا نسمعها في ضجيج الحياة اليومية.

إلى كل قارئ يحمل في قلبه حب الأرض، وإلى كل
إنسان قاوم قسوة الظروف دون أن يفقد إنسانيته، وإلى
أولئك الذين ما زالوا يؤمنون بأن الغد يمكن أن يكون
أجمل، أهدي هذه الرواية، راجياً أن يجدوا بين صفحاتها

ما يلامس وجدانهم، ويوقظ فيهم سؤالاً، أو يفتح أمامهم نافذة للتأمل.

وفي النهاية، تبقى الريح عابرة، لكن آثارها قد تظل محفورة في الذاكرة طويلاً.

عمارة عبدالملك

إهداء

إلى الذين ابتلعهم الصحراء ولم تذكرهم
كتب التاريخ، وإلى الذين عاشوا يحملون أسراراً
أثقل من الجبال، وإلى كل إنسان ظن أن دفن
الحقيقة في الرمال كفيل بمحوها من الذاكرة.
فالرمال قد تخفي الأقدام، لكنها لا تستطيع أن
تمحو الطريق.
والريج، مهما طال صمتها، لا بد أن تعود
يوماً حاملةً ما حاول الجميع نسيانه.

مقدمة

في أقصى الجنوب، حيث تمتد الرمال بلا نهاية، وتتعانق الجبال مع الأفق البعيد، وتقف القرى القديمة شاهدةً على أسرار الزمن، كانت هناك قرية تُدعى عين السدر، يعيش أهلها حياة هادئة تخفي خلف جدران بيوتها الطينية حكاياتٍ لم يجرؤ أحد على روايتها، وجرائمٍ دفنتها الرمال، ووجوهًا أُنقنت ارتداء أقنعة البراءة حتى ظن الجميع أن الماضي قد مات إلى الأبد. لكن الماضي لا يموت، مهما طال الزمن، ولا تُمحي آثاره بمجرد أن تغطيها الرمال؛ فثمة أسرار تنتظر اللحظة المناسبة لتخرج من مخابئها، وثمة أصوات تختنق تحت التراب، لا تجد سبيلاً إلى الحياة إلا حين تهب ريج الجنوب.

في تلك القرية، كانت ريج الجنوب أكثر من مجرد عاصفة ساخنة تعبر الصحراء؛ فقد ارتبطت في ذاكرة الناس بحوادث غامضة، واختفاءات لم يُعرف مصير أصحابها، وليالٍ طويلة كان الخوف فيها يتسلل إلى القلوب مع صفير الرياح. وكان كبار السن يتبادلون الحكايات عنها بصوت خافت، ثم يصمتون فجأة كلما اقترب غريب، وكأنهم يخشون أن يسمع أحدهم ما لا ينبغي أن يُقال.

وبين تلك الجدران العتيقة، نشأ ياسين وهو يحمل في قلبه فراغاً تركه اختفاء أبيه، الرجل الذي قيل إنه ابتلعه الصحراء قبل سنوات طويلة. كبر ياسين بعيداً عن قريته، معتقداً أن الأيام كفيلة بمحو الجراح، وأن الأسئلة التي تركها رحيل أبيه ستظل بلا إجابة. غير أن رسالة غامضة وصلته من أمه قلبت حياته رأساً على عقب، وأعادته إلى المكان الذي ظن أنه لن يعود إليه أبداً.

هناك، بدأت الخيوط تتشابك، وراحت الوجوه المألوفة تكشف عن أسرار لم يكن يتخيلها، وظهرت أسماء ظنها الناس منسية، بينما أخذت الحقيقة تتسلل من بين شقوق الماضي كريح لا يمكن إيقافها. وكلما اقترب ياسين من معرفة مصير أبيه، اكتشف أن اختفائه لم يكن حادثاً عابراً، وأن وراءه حكاية أكبر من حدود القرية، حكاية تختلط فيها الخيانة بالطمع، والحب بالخوف، والقرابة بأقصى أشكال الغدر.

لكن السؤال الذي ظل يطارده لم يكن: أين اختفى أبوه فحسب؟ بل كان أعمق وأشد قسوة: ماذا لو كانت حياته كلها مبنية على كذبة، وكانت الحقيقة التي يبحث عنها هي نفسها الحقيقة التي ستسلبه هويته إلى الأبد؟

في «ريح الجنوب»، لا تسير الأحداث نحو الحقيقة في طريق مستقيم؛ فكل إجابة تفتح بابًا جديدًا للغموض، وكل سر ينكشف يخفي وراءه سرًا أشد خطورة. وبين رمال لا تحتفظ بالأثر طويلاً، وقلوب تخفي ما لا تستطيع الألسنة الاعتراف به، يجد ياسين نفسه في مواجهة ماضي لا يرحم، وحاضرٍ لا يثق به، ومستقبلٍ قد لا يكون كما تخيله يومًا.

إنها حكاية عن الإنسان حين يطارده ماضيه، وعن الأسرار حين تتحول إلى لعنة تتوارثها الأجيال، وعن الحقيقة التي قد يتمنى المرء لو لم يعرفها أبدًا.

فحين تهب ريح الجنوب، لا تسأل عمّا ستأخذه معها، بل عمّا ستكشفه بعد رحيلها.

وهل يستطيع الإنسان أن ينجو من الحقيقة، إذا كانت الحقيقة تسكن داخله؟

عمارة عبدالمالك

التعريف الكامل بأبطال رواية «ريج الجنوب»

تدور أحداث رواية «ريج الجنوب» في قرية عين السدر، الواقعة عند تخوم الصحراء الجزائرية، حيث تتشابك أسرار الماضي مع مخاوف الحاضر، وتخفي الرياح القادمة من الجنوب حكايات عن الاختفاء والقتل والخيانة وتزوير ملكيات الأراضي.

وفي قلب هذه الأحداث، تتكشف أسرار عائلة ظلت الحقيقة فيها مدفونة سنوات طويلة، حتى عاد رجل ليبحث عن أبيه وهويته، ففتح أبوابًا كان الجميع يخشون الاقتراب منها. وفيما يلي التعريف بأبرز شخصيات الرواية، وصفاتهم النفسية وأدوارهم في تطور الأحداث

أولاً: الشخصيات الرئيسية

1-ياسين: البطل الباحث عن الحقيقة

ياسين شاب متعلم يعمل مهندسًا، يتميز بالذكاء والهدوء وقوة الملاحظة.

عاد إلى قريته عين السدر بعد غياب دام خمسة عشر عامًا، وهو يحمل في داخله أسئلة لم يجد لها إجابات منذ طفولته .



لم يكن رجوعه إلى القرية مجرد زيارة عائلية، بل كان بداية رحلة شاقة للبحث عن أبيه الغائب، وفهم حقيقة عائلته، واكتشاف الأسرار التي أحاطت بماضيه. ياسين رجل لا يقتنع بالشائعات، ولا يستسلم بسهولة أمام الغموض.

وكلما حاول الاقتراب من الحقيقة، وجد نفسه أمام روايات متناقضة وأشخاص يخشون الكلام.

صفاته: الشجاعة، الذكاء، الصبر، حب الحقيقة، والقدرة على مواجهة الخطر.

دوره في الرواية: يمثل محور الأحداث، ومن خلال بحثه تتكشف خيوط الجريمة القديمة، وتظهر حقيقة اختفاء الأشخاص، وتبدأ الأسرار المدفونة في الانكشاف.

2 - سليم: التوأم المفقود

سليم هو شقيق ياسين التوأم الذي اختفى في ظروف غامضة منذ سنوات طويلة.

ظل غيابه جرحًا مفتوحًا في تاريخ العائلة، حتى أصبح اسمه مرتبطًا بحكايات القرية وأسرارها.

لكن سليم لم يكن ميتًا كما ظن بعض الناس، فقد نجا من مصير غامض، وعاش سنوات وهو يحمل آثار الماضي ومخاوفه.

إنه شخصية محاطة بالغموض، تجمع بين القوة والضعف، وبين الرغبة في العودة والخوف من العواقب. فقد تركت التجارب التي مر بها أثرًا عميقًا في نفسيته، وجعلته مترددًا في كشف كل ما يعرفه.

صفاته: الحذر، الصلابة، الكتمان، الوفاء، والخوف من انكشاف أسرار الماضي.

دوره في الرواية: يمثل المفتاح الذي يربط الماضي بالحاضر، ويشكل ظهوره نقطة تحول في مسار الأحداث، لأنه يحمل معلومات قد تغير فهم ياسين لتاريخ عائلته بالكامل.

3- نورة: امرأة بيت الغريبة

يعرفه أهل القرية باسم «بيت الغريبة». يحيط بها الصمت، وتبدو كأنها تحمل في ذاكرتها حكاية أكبر من قدرتها على البوح.

لا يعرف أهل عين السدر حقيقتها كاملة؛ فبعضهم يراها امرأة فقدت صلتها بالعالم، بينما يعتقد آخرون أنها تعرف أسرارًا خطيرة عن اختفاء الأطفال والجريمة القديمة. تزداد شخصية نورة غموضًا بسبب الوثائق والروايات المتضاربة المتعلقة بعلاقتها ببعض أفراد العائلة، إذ تظهر إشارات متناقضة حول ما إذا كانت أختًا أم أمًا، وهو ما يجعل هويتها الحقيقية إحدى القضايا التي تحتاج إلى كشف.

صفاتها: الغموض، الصمت، الحذر، الحساسية، والاحتفاظ بالأسرار.

دورها في الرواية: تمثل إحدى الحلقات المهمة في سلسلة الأسرار، وقد يكون ما تعرفه عن الماضي هو الدليل الذي يقود ياسين إلى الحقيقة التي عجز الآخرون عن كشفها.

4- زينب: المرأة التي حملت سر العائلة

الماضي، ووجدت نفسها في موقع صعب بين حماية الأطفال وإخفاء حقائق قد تهدد حياتهم.

قامت بدور المربية والأم الحامية، وكانت تحاول أن توفر الأمان لمن وضعتهم الظروف تحت مسؤوليتها، حتى لو اضطرها ذلك إلى الصمت سنوات طويلة. ليست زينب

شخصية شريرة بالضرورة، لكنها شخصية معقدة؛ إذ يمكن أن يكون صمتها نابغاً من الخوف أو الوفاء أو الشعور بالذنب.

تعيش صراعاً داخلياً بين ما تعرفه وما تستطيع قوله، وبين رغبتها في حماية من تحبهم وضرورة الاعتراف بالحقيقة.

صفاتها: الحنان، التضحية، الصبر، الحذر، والوفاء.

دورها في الرواية: تمثل الذاكرة الحية للعائلة، وتساعد أسرارها وشهادتها في تفسير أحداث الماضي، كما أن علاقتها بياسين وسليم تجعلها شخصية مؤثرة في كشف الحقيقة.

ثانياً: الشخصيات المرتبطة بالماضي والجريمة

5- عبدالقادر أو سالم: الأب الغائب

عبدالقادر، الذي يرتبط اسمه أيضاً باسم سالم في خيوط الحكاية، هو الأب الغائب الذي يشكل اختفاؤه أحد أهم ألغاز الرواية.

كان ماضيه مرتبطاً بأحداث خطيرة وقعت قبل سنوات طويلة، وبأشخاص لم يتوقفوا عن محاولة إخفاء آثارها.

يمثل هذا الأب شخصية محورية رغم غيابه عن كثير من الأحداث؛ فكلما تقدم ياسين في بحثه، اكتشف أن ما



حدث لأسرته لم يكن مجرد حادث عابر، بل كان مرتبطاً بصراع أوسع على النفوذ والأرض والحقيقة.

صفاته: الكتمان، الحذر، الارتباط العميق بالعائلة، وتحمل أعباء الماضي.

دوره في الرواية: يمثل مركز اللغز العائلي، وتكشف قصته تدريجياً أسباب الاختفاءات القديمة وعلاقته بالأشخاص المتورطين في الجريمة.

6- صالح بن عيسى: الخصم الذي يطارده الماضي
صالح بن عيسى شخصية قوية ونافذة، ترتبط بالماضي المظلم للقرية، وتحيط به الشكوك بسبب علاقته بالجريمة القديمة والصراع على الأراضي. يبدو أمام الناس رجلاً يعرف كيف يحافظ على مكانته، لكنه يخفي وراء صورته الظاهرة تاريخاً من النزاعات والأسرار.

وتزداد خطورته بسبب سعيه إلى الانتقام، إذ لا يرى في انكشاف الحقيقة مجرد تهديد لسمعته، بل خطراً قد يهدم كل ما بناه طوال حياته.

وتظل حقيقة علاقته بياسين وأبيه، بما في ذلك احتمال أن يكون أباً لياسين، من المسائل التي تزيد الصراع تعقيداً.

صفاته: العناد، الطموح، الحذر، الرغبة في الانتقام،
والقدرة على إخفاء النوايا

دوره في الرواية: يمثل أحد أبرز مصادر التوتر والصراع،
وتدفع أفعاله ياسين إلى مواجهة قوى لا تريد للماضي أن
يظهر إلى النور.

7- أمين: الابن المخفي

أمين شخصية ترتبط بأحد أكثر أسرار العائلة حساسية،
فهو الرجل الذي تشير خيوط الرواية إلى أنه الابن المخفي
الذي لم تكشف حقيقة نسبه وظروف نشأته كما ينبغي .
تبدو حياته وكأنها بنيت على فراغ كبير؛ فهو لا يعرف
بالضرورة كل ما يتعلق بأصله، وقد تكون المعلومات التي
حُجبت عنه هي التي تحدد مصيره.

يمثل أمين ضحية محتملة لأخطاء ارتكبتها الكبار، إذ وجد
نفسه داخل صراع لم يختره، لكنه أصبح جزءاً منه بسبب
أسرار النسب والعلاقات القديمة .

صفاته: الغموض، الحساسية، الحيرة، والرغبة في معرفة
الأصل والحقيقة .

دوره في الرواية: يمثل حلقة أساسية في لغز العائلة، ويساعد الكشف عن هويته وعلاقته بالشخصيات الأخرى على إعادة ترتيب الوقائع وفهم أسباب إخفاء بعض الحقائق.

ثالثاً: شخصيات القرية والنفوذ الاجتماعي

8- الحاج منصور: وجيه القرية وحارس الأسرار
الحاج منصور رجل ذو مكانة اجتماعية كبيرة في عين السدر، يحظى باحترام كثير من السكان، ويملك تأثيراً واضحاً في العلاقات بين العائلات .
اعتاد الناس الرجوع إليه في النزاعات والمشكلات، ولذلك تبدو كلمته في ظاهر الأمر مرجعاً للفصل بين المتخاصمين .
لكن وراء هذه المكانة تختبئ صلة بأحداث الماضي، إذ تشير خيوط الرواية إلى تورطه في جانب من الجريمة القديمة أو تستره على بعض المتورطين فيها.
إنه نموذج للرجل الذي قد يستخدم النفوذ الاجتماعي لحماية نفسه ومصالحه، حتى لو كان ثمن ذلك استمرار معاناة الأبرياء .

صفاته: الحكمة الظاهرة، الحنكة، حب النفوذ، الحذر، والقدرة على التأثير في الآخرين .
دوره في الرواية: يجسد سلطة القرية ومصالحتها المتشابكة، ويكشف الصراع معه كيف يمكن للخوف والمكانة الاجتماعية أن يعرقلا الوصول إلى الحقيقة.

9- الشيخ الطاهر: شاهد الماضي

الشيخ الطاهر رجل مسن كان صديقاً لأبي ياسين، وعرف جانباً من الأحداث التي سبقت اختفاء الأب ووقوع الجريمة .
يحمل في ذاكرته تفاصيل عن زمن تغيرت فيه العلاقات بين أهل القرية، حين تحولت الخصومات إلى عداوات، وأصبحت الأرض سبباً للصراع، وصار الصمت وسيلة للبقاء.

إنه من الشخصيات التي قد لا تظهر قوتها في المواجهة المباشرة، لكنها تملك قيمة كبيرة بسبب ما تعرفه من معلومات وشهادات .

صفاته: الحكمة، الهدوء، الوفاء، الحذر، والارتباط بذكريات الماضي .

دوره في الرواية: يمثل شاهدًا مهمًا على الأحداث القديمة، ويساعد ما تركه من معلومات أو شهادات في تفسير بعض الوقائع التي تبدو متناقضة.

رابعًا: شخصيات غامضة وأسرار لم تُكشف

إلى جانب الشخصيات السابقة، تتضمن الرواية مجموعة من العناصر الغامضة التي تمنح الأحداث طابعها التشويقي.

10 - الرجل المجهول

هو الرجل الذي ترتبط به الجريمة القديمة، وتدور حوله أسئلة عن هويته وعلاقته بالعائلات المتصارعة. قد يكون ظهوره أو الكشف عن مصيره نقطة فاصلة في فهم ما حدث في الماضي، خاصة فيما يتعلق باختفاء الأشخاص وتزوير ملكيات الأراضي

وتكمن أهمية هذه الشخصية في أن معرفة اسمه وحقيقة دوره قد تقلب الاتهامات الموجهة إلى بعض الشخصيات رأسًا على عقب.

11 - الشهود الصامتون

هم رجال ونساء من أهل عين السدر عاصروا الأحداث القديمة، لكنهم اختاروا الصمت خوفاً من الانتقام أو حفاظاً على مصالحهم.

بعضهم يعرف جزءاً من الحقيقة، وبعضهم لا يعرف سوى ما سمعه من الآخرين، ولذلك تتضارب شهاداتهم وتتعدد الروايات.

دورهم في الرواية: إظهار أثر الخوف الجماعي في استمرار الظلم، وبيان كيف يمكن لحقيقة واحدة أن تنشظى إلى روايات كثيرة عندما يعجز الناس عن قول ما يعرفونه.

12 - أهل عين السدر

لا تمثل القرية مجرد مكان تجري فيه الأحداث، بل هي كيان اجتماعي له ذاكرته ومخاوفه وأسراره.

فيها من يتمسك بالحقيقة، وفيها من يفضل السلامة، وفيها من يصدق الشائعات، وفيها من يعرف أن شيئاً خطيراً حدث لكنه يخشى الاقتراب منه.

وتتغير مواقف أهل القرية مع تقدم التحقيقات، خصوصاً عندما تبدأ الأدلة في الظهور، وتصبح الوقائع أقوى من الروايات المتوارثة.

دورهم في الرواية: تمثيل المجتمع الذي يحتضن الصراع، وإظهار أثر الجريمة في حياة الناس وعلاقاتهم، وكيف يمكن للخوف والصمت أن يتحولا إلى شريكين في استمرار الظلم.

خامساً: العلاقات بين أبطال الرواية

تشابك العلاقات بين الشخصيات في شبكة من الأسرار والشكوك، ويمكن تلخيص أبرزها كما يأتي:

الشخصية الأولى

الشخصية الثانية

طبيعة العلاقة

ياسين

سليم

أخوان توأمان فرّق بينهما الاختفاء والغموض.

ياسين

عبدالقادر/سالم

ابن يبحث عن أبيه وحقيقة غيابه.

ياسين

زينب

علاقة تتصل بالرعاية والحماية وأسرار العائلة.

ياسين

نورة

علاقة بحث وتحقيق تحيط بها أسئلة الهوية والماضي.

ياسين

صالح بن عيسى

صراع حول الحقيقة والماضي والنسب المحتمل.

ياسين

أمين

علاقة تتكشف أهميتها مع انكشاف سرالابن المخفي.

ياسين

الحاج منصور

مواجهة بين البحث عن الحقيقة والنفوذ الاجتماعي.

عبدالقادر/سالم

الشيخ الطاهر

صداقة قديمة تربط الحاضر بأحداث الماضي.

صالح بن عيسى

الحاج منصور

تقاطع مصالح محتمل في أسرار الجريمة القديمة.

سادساً: دور الشخصيات في صناعة
التشويق

تستمد رواية «ريح الجنوب» قوتها من اختلاف دوافع الشخصيات، لا من الغموض وحده. ياسين/ يبحث عن الحقيقة مهما كانت مؤلمة. سليم/ يحمل آثار الاختفاء ويخشى عودة الماضي. نورة/ تخفي أسرارًا قد تغير فهم العائلة. زينب/ تحاول حماية من تحبهم، لكنها تواجه عبء الصمت. عبدالقادر/سالم/ يمثل الماضي الذي لم ينتهِ رغم غيابه. صالح بن عيسى/ يجسد خطر الانتقام عندما تتعرض الأسرار للانكشاف. أمين/ يمثل الإنسان الذي حُرِم من معرفة حقيقة أصله. الحاج منصور/ يجسد النفوذ الذي قد يقف في طريق العدالة. الشيخ الطاهر/ يمثل الذاكرة التي تستطيع إعادة بناء الأحداث. ومن خلال هذه الشخصيات، تتحول الريح الجنوبية من ظاهرة طبيعية إلى رمز روائي للخوف والتغيير؛ فهي تهب على القرية كلما اقتربت الحقيقة، وكأنها تحمل معها أصوات الذين سكتوا طويلاً، وتوقظ أسراراً اعتقد الجميع أنها دُفنت إلى الأبد.

خاتمة تعريفية

إن أبطال رواية «ريح الجنوب» ليسوا مجرد أشخاص يتحركون داخل أحداث غامضة، بل هم نماذج بشرية تتصارع فيها الحقيقة مع الخوف، والوفاء مع الخيانة، والذاكرة مع النسيان.

ويظل ياسين الشخصية المركزية التي تجمع خيوط الحكاية، بينما يمثل سليم ونورة وزينب وأمين جوانب مختلفة من لغز العائلة.

أما صالح بن عيسى والحاج منصور، فيرتبطان بالصراع الذي جعل الحقيقة بعيدة المنال لسنوات طويلة. والسؤال الذي يرافق القارئ حتى الصفحات الأخيرة هو: هل يستطيع ياسين كشف الحقيقة كاملة، أم أن الريح الجنوبية ستكشف له سرًا أشد قسوة من كل ما عرفه؟

ملاحظة تحريرية:

هذا التعريف مبني على الخطوط والشخصيات التي سبق تحديدها للرواية.

ولأن بعض التفاصيل، مثل حقيقة نسب أمين وطبيعة علاقة نورة بالعائلة، ما تزال غامضة ضمن الحكاية، فقد أبقيتها في صيغة التشويق بدل تقديمها كحقائق نهائية.

الفصل الأول:

الليلة التي عادت فيها الريح

لم تكن قرية «عين السدر» تشبه القرى الأخرى.
كانت تستلقي عند حافة الصحراء الجزائرية، كأنها آخر
شاهد على عالم يوشك أن تبتلعه الرمال.
بيوتها الطينية متلاصقة، وأزقتها ضيقة، وأبوابها الخشبية
العتيقة تصدر أصواتاً حزينة كلما مرّت بها الرياح.
وفي الجهة الشمالية، كانت الجبال الداكنة ترتفع مثل
حراس صامتين، بينما يمتد الجنوب أمام القرية بلا نهاية،
بحراً من الرمال المتحركة.

كان أهل القرية يعرفون ريج الجنوب جيداً.
تأتي أحياناً في أول الصيف، ساخنة وجافة، تحمل معها
الغبار وتغلق الأبواب والنوافذ.
لكنها في تلك الليلة لم تكن ريجاً عادية .
بدأت قبيل منتصف الليل.

ارتفعت أولاً همسات خفيفة بين أشجار السدر، ثم راحت
النوافذ ترتجف، والأبواب تضرب جدران البيوت، حتى بدا
كأن القرية كلها تتنفس بصعوبة.
وفي بيت قديم عند طرف القرية، جلس الشيخ الطاهر أمام
مصباح زيتي، يحدق في باب غرفته.

كان في السبعين من عمره، طويل القامة رغم انحناء ظهره،
أبيض اللحية، غائر العينين. عرفه الناس رجلاً حكيمًا،

قليل الكلام، لا يتدخل في شؤون الآخرين، ولا يسمح لأحد بأن يسأله عن السنوات التي قضاها شابًا في الصحراء. لكن تلك الليلة لم يكن حكيماً ولا هادئاً. كان يرتجف.

مد يده إلى كوب الماء، فاصطدمت أصابعه به وسقط على الأرض. تمتم:

«لقد عادت...»

لم يكن في الغرفة أحد يسمعه. أو هكذا ظن.

فجأة، سُمع طرق على الباب الخارجي. ثلاث طرقات بطيئة.

توقف الشيخ عن التنفس لحظة.

ثم جاءت ثلاث طرقات أخرى.

نهض بصعوبة، واتجه نحو الباب، لكنه لم يفتحه. وضع أذنه على الخشب، وسمع صوتًا خافتًا اختلط بعواء الريح «يا طاهر... افتح. لقد انتهى الوقت.» تراجع حتى اصطدم بالحائط.

كان الصوت يعرف اسمه، ويعرفه جيدًا

صاح: «من أنت؟»

لم يجبه أحد.
ثم انزلت ورقة من تحت الباب.
انتظر الشيخ حتى خفت حركة الريح، وانحنى ليلتقطها.
كانت ورقة قديمة، صفراء، مطوية بعناية، وعليها جملة
واحدة مكتوبة بحبر أسود:
«الرجل الذي دفنته في الجنوب لم يمت وحده.»
سقطت الورقة من يده.
في تلك اللحظة، انطفأ المصباح.
وتعالت في الخارج ضحكة قصيرة، بدت له مألوفة أكثر مما
ينبغي.
بعد دقائق، عثر أحد الجيران على الشيخ الطاهر ممدداً
قرب الباب، وعيناه مفتوحتان نحو السقف. كان ميتاً.
لم تظهر على جسده جروح، ولم يكن في البيت ما يدل على
السرقة أو الشجار.
لكن تحت أظافره، وجد الطبيب لاحقاً ذرات دقيقة من
الرمال الحمراء
وفي صباح اليوم التالي، حين انتشر خبر موته، قال رجل
مسن في المقهى:
«لم يقتله المرض. ريج الجنوب هي التي قتلتها.»
ضحك بعض الحاضرين، لكن رجلاً واحداً لم يضحك.

كان شابًا في الثلاثين من عمره، عاد إلى القرية قبل ثلاثة
أيام فقط، بعد غياب دام خمسة عشر عامًا.
اسمه ياسين.
وكان يحمل في حقيبته صورة قديمة لرجل يشبه الشيخ
الطاهر.
الرجل نفسه الذي قيل إن الصحراء ابتلعتة قبل خمسة
وعشرين عامًا.
أبوه.

الفصل الثاني:

عودة ياسين

وصل ياسين إلى عين السدر في مساء خريفي، بعد رحلة طويلة من العاصمة.

لم يعد بدافع الحنين وحده.

فقد عاش سنوات بعيداً عن القرية، درس الهندسة، وعمل في إحدى الشركات، ثم خسروظيفته بعد خلاف مع مديره. وفي الوقت الذي بدأ فيه يفكر في العودة إلى حياته القديمة، تلقى رسالة من امرأة لم يرها منذ طفولته. كانت الرسالة من أمه.

كتبت فيها:

«يا بني، إن كنت لا تزال تريد معرفة حقيقة أبيك، فعد إلى عين السدر قبل أن تأتي ريج الجنوب.»
لم تشرح شيئاً آخر.

وصل ياسين متأخراً، فوجد أمه، زينب، تنتظره أمام البيت. كانت قد شاخت كثيراً.

غزا الشيب شعرها، وأصبحت خطواتها بطيئة، لكن عينيها ظلتا تحملان ذلك الحزن الذي لم يفهمه في صغره. عانقها طويلاً

. قالت بصوت مبحوح:

«تأخرت يا ياسين.»

أجابها:

«لم تخبريني يومًا أن أبي ربما لم يمت كما قلت لي.»
أغمضت عينيها.

ابتعد عنها وحدث في وجهها.

«لكن الجميع قالوا إنه مات في الصحراء.»

«الجميع يكررون ما قيل لهم.»

جلسا في الغرفة الداخلية.

كان البيت كما تركه قبل خمسة عشر عامًا:

جدران طينية، سجادة قديمة، صندوق خشبي في الزاوية،

وصورة عائلية معلقة قرب النافذة.

كانت الصورة تضم ثلاثة أشخاص:

أمه، وأباه، وهو طفل لا يتجاوز الخامسة.

اقترب من الصورة.

«لماذا لم تحتفظي بصور أخرى له؟»

قالت أمه:

«لأن بعض الصور لا ينبغي أن تبقى.»

التفت إليها.

«هل تعرفين شيئًا عن موت الشيخ الطاهر؟»

ارتجفت يدها.

«مات أخيرًا؟»

فاجأه سؤالها.



«أُتعرفينه؟»

جلست ببطء، ثم قالت:

«كان صديق أبيك. أو هكذا ظننت.»

«وماذا حدث لأبي؟»

لم تجب.

في تلك اللحظة، هبّت ريح ساخنة من النافذة المفتوحة،
فاهتزت الصورة المعلقة على الحائط.

ثم سقطت.

انحنى ياسين ليرفعها، ولاحظ شيئاً لم ينتبه إليه من قبل:
خلف الصورة، كانت هناك ورقة مطوية بعناية.
فتحها.

وجد خريطة قديمة للمنطقة الجنوبية من الصحراء،
وعلاصة حمراء قرب بئر مهجورة تُعرف باسم بئر الغراب.

وتحت الخريطة، كُتبت عبارة بخط أبيه:

«إذا عدت يوماً، فلا تثق بمن يخبرك أنني ذهبت وحدي.»

رفع رأسه.

«أمي، من الذي ذهب معه؟»

لكن زينب كانت تحقق في الباب

كان هناك شخص يقف خلفه.

وحين فتح ياسين الباب بسرعة، لم يجد أحداً

وجد فقط آثار أقدام تمتد من العتبة إلى الشارع، ثم
تختفي فجأة فوق التراب الصلب.
كانت الآثار تسير حافية.

الفصل الثالث:

دفتر الموتى

في صباح اليوم التالي، ذهب ياسين إلى بيت الشيخ الطاهر.
كان رجال القرية قد تجمعوا في الفناء، يتبادلون التعازي
ويتحدثون بصوت منخفض.

استقبله ابن الشيخ، مراد، بوجه متجهم.

قال مراد:

«لماذا عدت الآن؟»

أجابه ياسين:

«لأن أُمي طلبت مني العودة.»

«أُمي؟»

«أقصد أبي.»

تغير وجه مراد.

أدخله إلى غرفة أبيه، وأغلق الباب.

كانت الغرفة ضيقة، تفوح منها رائحة العطر القديم والتبغ.
فوق المكتب، تراكمت الأوراق، وإلى جانبها صندوق معدني
صغير.

قال مراد:

«وجدت هذا بعد موته. لم أفتحه.»

فتح الصندوق بمفتاح كان معلقًا في سلسلة حول عنقه.

في الداخل، وجد ياسين دفترًا أسود، وثلاث صور، ومفتاحًا

نحاسيًا.

فتح الدفتر.

كانت الصفحات الأولى تتضمن حسابات مالية وأسماء رجال، لكن الصفحات الأخيرة حملت عبارات مختلفة، كأن صاحب الدفتر كتبها وهو يشعر أن الموت يقترب منه.

قرأ ياسين:

«17 مايو، قبل خمسة وعشرين عامًا.

لم يكن علينا الذهاب إلى البئر.

كان بإمكاننا تركه يتحدث، أو تسليمه إلى السلطات. لكن

سالم قال إن الحقيقة ستدمر الجميع.»

توقف ياسين.

سالم.

كان ذلك اسم أبيه.

تابع القراءة:

«لم يكن المال هو السبب الوحيد.

كانت هناك وثيقة تثبت أن الأرض التي بنينا عليها مستقبلنا

لم تكن لنا، وأن أصحابها الحقيقيين طردوا منها بالقوة»

ثم وجد سطرًا مشطوبًا بعنف.

وبجواره:

«عبدالقادر لم يمت كما أخبرنا الناس.»

شعر ياسين بقشعريرة



عبدالقادر هو اسم أبيه الكامل.

سأل مراد :

«هل تعرف شيئاً عن هذه القضية؟»

هز مراد رأسه.

«كنت طفلاً. كل ما أعرفه أن أبي عاد من رحلة إلى الجنوب

دون سالم، ومنذ ذلك اليوم تغير تمامًا.»

«لماذا لم تبلغوا الشرطة؟»

ضحك مراد بمرارة.

«أي شرطة؟ وأي حقيقة؟ أبي كان رجلاً يحظى باحترام

الجميع. ومن يتهمه كان يصبح عدوًا للقرية كلها.»

قلب ياسين الصفحات حتى وصل إلى آخر صفحة.

كانت تحتوي على رسم بسيط لبئر، وتحت الرسم جملة

مكتوبة بحبر أحمر:

«من يعود من بئر الغراب، يعود ومعه شيء ليس له.»

في اللحظة نفسها، سمعا صوتًا خلف النافذة.

كان طفلاً يركض في الزقاق.

خرج ياسين وراءه، لكنه لم يجده.

وجد حجرًا صغيرًا ملفوفًا بقطعة قماش.

فتحها، فظهرت ورقة كتب عليها:

«لا تبحث عن أبيك. ابحث عمّن يخاف من عودته.»



وعلى ظهر الورقة، وُضع رمز صغير يشبه عينًا داخل دائرة.
لم يعرف ياسين معنى الرمز.
لكن حين عاد إلى البيت، رأى أمه تقف أمام الباب، وقد
فقدت كل لون في وجهها.
كانت تحقق في الرمز.
همست:
«يا إلهي... لقد بدأوا من جديد».

الفصل الرابع:

المرأة التي لا تشيخ

في الجهة الغربية من القرية، وراء مقبرة قديمة
وأشجار سدر يابسة، كان هناك بيت مهجور لا يقترب منه
أحد.

كان أهل عين السدر يسمونه بيت الغربية.
قيل إن امرأة تسكنه منذ عقود، وإنها لا تظهر إلا حين تهب
ريج الجنوب.

وقيل أيضًا إنها تعرف أسماء الموتى قبل أن يموتوا.
لم يكن ياسين يؤمن بالخرافات، لكنه قرر زيارة البيت بعد
أن سمع اسمه يتكرر في أحاديث الناس.
وصل عند الغروب.

كان الباب مفتوحًا، مع أن البيت بدا مهجورًا منذ سنوات.
طرق مرتين.

جاءه صوت امرأة:

«ادخل يا ابن سالم.»

توقف.

لم يخبر أحدًا باسم أبيه الكامل.

دخل بحذر، فوجد امرأة تجلس قرب نافذة صغيرة. كان
شعرها أسود طويلًا، ووجهها شاحبًا، وعيناها غريبتين؛ لا
تحملان أثرًا واضحًا للعمر.

قال:

«من أنت؟»

أجابته:

«أنا نورة.»

«هل عرفت أبي؟»

«أكثر مما عرف نفسه.»

جلس قبالتها.

«ماذا حدث له؟»

نظرت إلى النافذة.

«في الليلة التي اختفى فيها، كانت الريح أقوى من هذه.»

«هل مات؟»

صمتت طويلاً.

ثم قالت:

«أبوك لم يكن الرجل الذي أخبروك عنه.»

«ماذا تقصدين؟»

«كان يبحث عن وثيقة تثبت أن القرية بُنيت على أرض

مسروقة من عائلة كاملة. أراد إعادة الأرض إلى أصحابها.

لكن رجالاً آخرين أرادوا الوثيقة لأنهم يستطيعون بها

السيطرة على أراضي ومياه وثروات أكبر.»

سألها ياسين:

«ومن هم؟»

قالت:

«بعضهم مات. وبعضهم لا يزال يبتسم لك في الشارع»

نهضت واتجهت نحو صندوق قديم.

أخرجت منه صورة.

كانت صورة جماعية لخمسة رجال أمام بئر الغراب. تعرف

ياسين على أبيه، وعلى الشيخ الطاهر، وعلى رجل ثالث لم

يره من قبل.

أما الرجلان الآخران، فقد أصابه الدهول حين تعرف إليهما.

الأول كان الحاج منصور، أغنى رجل في القرية.

والثاني كان والد مراد.

قلب الصورة.

كُتب خلفها:

«آخر يوم قبل أن تتغير الأسماء.»

سأل ياسين:

«أين هذه الوثيقة؟»

أجابته نورة:

«تحت البئر.»

«إذن سأذهب إليها.»

ضحكت ضحكة قصيرة، خالية من الفرح.

«لن تصل إلى البئر إذا ذهبت وحدك.»



«ومن سيذهب معي؟»
اقتربت منه حتى أصبحت على بعد خطوة واحدة.
«الرجل الذي قتله أبوك.»
تراجع ياسين.
«أبي لم يقتل أحداً!»
قالت نورة بهدوء:
«هذا ما قالت أمك أيضاً.»
ثم مدت يدها إليه.
كان في راحة يدها خاتم فضي يحمل الرمز نفسه:
عين داخل دائرة.
«خذ هذا. عندما ترى صاحبه، لا تسأله لماذا جاء. اسأله
لماذا تأخر.»
وحين خرج ياسين من البيت، التفت ليلقي نظرة أخيرة على
المرأة.
لكن الغرفة كانت خالية.
وعلى الطاولة، وجد كوبين من الشاي.
كان أحدهما لا يزال ساخناً.

الفصل الخامس:

الحاج منصور

كان الحاج منصور الرجل الأقوى في عين السدر .امتلك الأراضي الزراعية، والمخازن، والشاحنات التي تنقل البضائع إلى المدن المجاورة.

وكان يمول أعراس الفقراء، ويساعد المرضى، ويقدم المنح للشباب.

لذلك أحبه الناس .أو ظنوا أنهم يحبونه.

ذهب ياسين إلى بيته بعد الظهر.

استقبله الحاج في قاعة واسعة، وجلس أمامه تحت صورة كبيرة له وهو يصافح مسؤولاً حكومياً.

قال منصور:

«سمعت أنك عدت لتسأل عن أبيك.»

«هل تعرف أين ذهب؟»

«ذهب إلى الصحراء، ولم يعد.»

«هل كان معكم؟»

توقف الحاج عن تقليب مسبحته.

«من قال لك ذلك؟»

أخرج ياسين الصورة ووضعها على الطاولة.

تغير وجه الرجل للحظة، ثم عاد إلى ابتسامته.

«صورة قديمة. كنا شبابًا، نبحث عن الماء والآبار. لا شيء

أكثر.»



« ولماذا كتب الشيخ الطاهر أن أبي لم يمت وحده؟ »
سقطت المسبحة من يد الحاج.
انحنى ليلتقطها، ثم قال:
« اسمع يا ياسين. أبوك كان رجلاً طيباً، لكنه دخل في أمور
لم يفهمها. إذا كنت تحترم ذكراه، فاترك الماضي وشأنه. »
« أريد الحقيقة. »
« الحقيقة لا تطعم الجائع، ولا تعيد الموتى. »
نهض ياسين.
وقبل أن يغادر، قال منصور:
« أمك تعرف أكثر مما تخبرك. اسألها عن الليلة التي احترق
فيها البيت القديم. »
توقف ياسين.
« أي بيت؟ »
« لكن الحاج لم يجبه. »
في المساء، عاد إلى البيت وسأل أمه.
« ما إن ذكر الحريق حتى أغلقت النافذة بعنف. »
« من أخبرك؟ »
« الحاج منصور. »
جلست زينب، وراحت تفرك أصابعها.

«قبل خمسة وعشرين عامًا، احترق مخزن قرب بئر
الغراب. مات رجلان، وقيل إنهما عاملان غريبان. بعد
الحريق، اختفى أبوك.»
«هل كان في المخزن؟»
«كان هناك.»
«هل مات الرجلان بسببه؟»
رفعت عينيها إليه.
«لا أعرف.»
«أمي، أرجوك! »
أخرجت من جيب ثوبها مفتاحًا صغيرًا.
«هذا مفتاح غرفة تحت البيت. لم أدخلها منذ اختفاء
أبيك.»
قادته إلى المخزن الخلفي، وأزاحت سجادة قديمة،
فكشفت عن باب أرضي.
نزل ياسين درجات حجرية حتى وصل إلى غرفة رطبة،
تتوسطها طاولة.
فوق الطاولة، وجد صندوقًا خشبيًا.
فتحه.

كان بداخله معطف أبيه، وساعة متوقفة عند الثانية
عشرة وسبع عشرة دقيقة، ورسالة لم تُرسل.

قرأ أول سطر:

«زينب، إن وصلت هذه الرسالة إليك، فهذا يعني أنني لم
أستطع العودة. لا تثقي بمن يحمل خاتم العين، مهما بدا
قريباً منك.»

تجمدت أصابعه.

أخرج الخاتم الفضي من جيبه.

الخاتم الذي أعطته إياه نورة.

في تلك اللحظة، سمع أمه تصرخ من أعلى الدرج:

«ياسين! لا تخرج من هناك!»

ثم دوى صوت ارتطام قوي.

.وانطفأ الضوء

الفصل السادس:

الدم على العتبة

بقي ياسين في الظلام ثواني لا يعرف عددها
سمع خطوات فوقه، ثم صوت الباب الأرضي وهو يُغلق.
صاح: «
أمي!»
لم يأتَه جواب.
أخرج هاتفه، وأضاء المصباح، ثم حاول دفع الباب. كان
مغلقًا من الخارج.
تفحص الغرفة بسرعة، فلاحظ فتحة صغيرة في الجدار
تؤدي إلى ممر ضيق.
زحف عبره حتى وصل إلى باب خشبي قديم، دفعه بكل
قوته فانفتح على المخزن الخلفي.
خرج إلى الفناء. وجد أمه ممددة قرب الباب، وعلى جبينها
جرح ينزف.
ركع بجانبها.
«أمي! من فعل هذا؟»
فتحت عينها بصعوبة.
«الخاتم.»
«ماذا عنه...؟»
«أعطه... لمن يستحقه.»
ثم فقدت الوعي.

حملها إلى غرفتها، واستدعى الطبيب.
وبعد الفحص، أكد الطبيب أنها ستتعافى، وأن الإصابة
ليست خطيرة.

لكن ياسين لم يعد يثق بأحد.
في صباح اليوم التالي، ذهب إلى مراد.
وجده يحفر في حديقة بيته.

قال ياسين :

«أحدهم هاجم أمي. كان يبحث عن شيء»
توقف مراد عن الحفر.

«ماذا أخذ؟»

«لا أعرف.»

نظر مراد إلى الخاتم الفضي في يد ياسين.
ثم قال :

«أنت لا تعرف ما الذي تحمله»

«هل تعرفه؟»

أخرج مراد من جيبه خاتمًا مطابقًا ..

«كان أبي يملك واحدًا. اختفى بعد موته.»

تراجع ياسين خطوة .

«إذن أنت من أرسل إليّ الرسالة؟»



هز مراد رأسه.

«لا. لكنني أعرف من فعل.»

«من؟»

قال مراد :

«الطبيب.»

لم يفهم ياسين.

«أي طبيب؟»

«الدكتور كمال. الرجل الذي فحص أمك. كان طبيب

القرية قبل خمسة وعشرين عامًا، وكان حاضراً ليلة

الحريق.»

أسرع ياسين إلى العيادة، لكنه وجدها مغلقة.

على الباب، كانت ورقة صغيرة :

«غادر الطبيب إلى المدينة.»

لم يصدق ياسين ذلك.

دخل من نافذة خلفية، وفتش المكتب.

وجد درجاً مقفلاً، ففتحه بمفتاح كان في الباب.

في الداخل، كانت ملفات قديمة، وصورة لأربعة رجال أمام

بئر الغراب.

على ظهر الصورة كُتبت عبارة :

«أربعة دخلوا البئر. ثلاثة خرجوا. والرابع لم يكن معهم
منذ البداية.»
وفجأة، رن الهاتف الأرضي.
رفع ياسين السماعة.
جاءه صوت الدكتور كمال:
«إذا أردت أن تعرف حقيقة أبيك، تعال إلى محطة القطار
القديمة عند الغروب. لكن تعال وحدك.»
ثم انقطع الخط.
وحين خرج ياسين من العيادة، رأى طفلاً يراقبه من آخر
الشارع.
كان الطفل يحمل ساعة جيب قديمة.
ساعة تشبه ساعة أبيه تمامًا.

الفصل السابع:

محطة القطار القديمة

لم يعد القطار يمر بعين السدر منذ أكثر من ثلاثين عامًا.
كانت المحطة قائمة عند الطرف الشرقي من القرية، مبنى
صغيرًا تتآكل جدرانه، تحيط به أعشاب يابسة وقضبان
صدئة تمتد نحو الصحراء.

وصل ياسين قبل الغروب.

لم يجد الطبيب .

وجد بدلًا منه رجلًا يرتدي معطفًا رماديًا، ويجلس على
مقعد خشبي تحت ساعة المحطة المتوقفة.
كان وجهه نحيلًا، وعلى خده الأيسر ندبة طويلة.

قال الرجل :

«تأخرت .»

أجابه ياسين:

أجابه ياسين:

«من أنت؟»

«اسمي بشير .»

«أين الدكتور كمال؟»

ابتسم الرجل بمرارة.

«كان هنا قبل ساعة. ثم جاء من يبحث عنه .»

«من؟»

أخرج بشير صورة صغيرة ووضعها في يد ياسين.

كانت صورة أبيه، لكن خلفه ظهر رجل آخر يحمل
بندقية .

قال بشير:

«هذا أبوك قبل أن يصبح مفقودًا. وهذا الرجل الذي
يقف خلفه هو أنا.»

حدق ياسين في الندبة.

«هل كنت معه في الصحراء؟»

«كنت أقرب الناس إليه.»

«هل مات؟»

نظر بشير إلى القضبان الممتدة في الظلام.

«رأيتَه يسقط. لكنني لم أراه يموت.»

شعرياسين أن قلبه يتوقف.

«أين سقط؟»

«ولماذا لم تخبر أحدًا؟»

صاح بشير فجأة:

«لأنهم قالوا إنهم سيقتلون ابنتي!»

ساد الصمت.

أخرج بشير من جيبه ورقة مطوية.

«هذه قائمة بأسماء الرجال الذين شاركوا في الجريمة.
الحاج منصور، والطاهر، وأبوك، ورجل آخر لا يظهر في
الصور.»

«ومن هو؟»

«الرجل الذي كان يملك الأرض قبل أن تُسرق.»
عقد ياسين حاجبيه.

«كيف يكون الرجل الذي سُرقَت أرضه مشاركًا في
الجريمة؟»

قال بشير:

«لأنه لم يمت.»

في تلك اللحظة، أضاءت مصابيح سيارة عند مدخل
المحطة.

همس بشير:

«لقد وجدونا.»

دفع الورقة إلى ياسين.

«اهرب من الباب الخلفي. ولا تعد إلى البيت الليلة.»

ركض ياسين بين الأعشاب حتى وصل إلى الطريق الترابي.
سمع صوت طلقة، ثم صوت سقوط جسد.
التفت.

رأى بشير ممددًا قرب المقعد.

أما الرجل الذي خرج من السيارة، فكان يحمل مصباحًا
ويوجه ضوءه نحو جسد بشير .
ثم رفع رأسه باتجاه ياسين، وصرخ:
«أعرف أنك تسمعي! لن تنتهي هذه الحكاية حتى تعود
إلى البئر!»
كان صوت الحاج منصور.

الفصل الثامن:

قبر بلا اسم

قضى ياسين الليل في منزل مهجور خارج القرية.
لم ينم.

كان يفكر في بشير، وفي أبيه، وفي الرجل الذي قيل إنه
مات قبل خمسة وعشرين عامًا، لكنه ربما لا يزال حيًا.
عند الفجر، عاد إلى القرية متخفيًا، وذهب إلى المقبرة.
كان يعرف أن أباه دُفن هناك، أو هكذا قيل له طوال
طفولته.

وصل إلى القبر، فوجد حجرًا بسيطًا يحمل اسم
عبدالقادر بن صالح وتاريخ وفاته.
لكنه لاحظ شيئًا غريبًا.

كان القبر أحدث من بقية القبور، رغم أن التاريخ
المحفور عليه يعود إلى خمسة وعشرين عامًا.
انحنى وفحص الحجر.

وجد تحته علامة صغيرة:
عين داخل دائرة.

استعان بعامل المقبرة، وهو رجل مسن يُدعى عيسى،
وطلب منه أن يخبره بالحقيقة.
رفض الرجل في البداية، ثم قال:

«يا بني، لا تفتح قبرًا لا تعرف من بداخله.»
«أريد فقط أن أعرف إن كان أبي مدفونًا هنا»

تنهد عيسى.

«لم أدفنه.»

«من دفنه؟»

«أربعة رجال جاءوا ليلاً. لم يسمحوا لأحد بالاقتراب.

قالوا إن الميت مجهول، ثم وضعوا الاسم على الحجر في

الصباح»

«ومن كانوا؟»

قال عيسى:

«الطاهر، ومنصور، والد مراد، ورجل رابع لم أروجه.»

أمسك ياسين بذراعه.

«هل تعرف أين ذهبوا بعد ذلك؟»

أشار عيسى نحو الجنوب.

«إلى البئر.»

ثم أضاف:

«لكن اسمعني جيداً. إن كان أبوك حيّاً، فلا تبحث عنه

لتعيده إلى البيت. ابحث عنه لتعرف لماذا لم يعد إليك.»

كانت الكلمات أقسى من أي تهديد.

عاد ياسين إلى المنزل، فوجد أمه جالسة قرب النافذة.

كانت قد استعادت قوتها، لكنها بدت كأنها كبّرت عشر

سنوات في ليلة واحدة.



قال لها:

«أبي ربما لم يُدفن في قبره.»

أغمضت عينيها.

«كنت أعرف.»

«كيف؟»

نهضت، وفتحت الصندوق الخشبي القديم.

أخرجت منه رسائل كثيرة، مربوطة بخيط أحمر.

«وصلتني هذه الرسائل على مدى خمسة وعشرين عامًا.

كلها من شخص واحد. لم أفتحها إلا مؤخرًا.»

فتح ياسين إحداها.

كان الخط يشبه خط أبيه.

«زينب، لا تخبري ياسين شيئًا حتى يبلغ الثلاثين. إذا عاد

قبل ذلك، فسوف يقتلونه كما قتلوا أخاه.»

رفع رأسه ببطء.

«أخي؟»

لم تجب أمه.

صرخ:

«أمي، هل كان لي أخ؟»

انهمرت دموعها.

«كان لك أخ توأم يا ياسين.»

وفي الخارج، هبت ريح الجنوب من جديد.

الفصل التاسع:

الأخ الذي محته الذاكرة

جلس ياسين طوال الليل يستمع إلى أمه.
قبل خمسة وثلاثين عامًا، أنجبت زينب ولدين توأمين:
ياسين وأخاه سليم .
كان سليم أكثر هدوءًا، بينما كان ياسين كثير البكاء. وفي
إحدى الليالي، حين كان الطفلان في الخامسة من العمر،
اندلع حريق في البيت القديم قرب البئر. اختفى سليم .
قال الناس إنه مات في الحريق، لكنهم لم يعثروا على
جثته .

وبعد سنوات، اختفى عبدالقادر، والد الطفلين، في رحلة
إلى الصحراء .
سأل ياسين :

«لماذا لم تخبريني أن لي أخًا؟»

أجابته زينب:

«لأن أباك طلب مني ذلك. قال إن سليم لم يمت، وإن
معرفة الحقيقة ستعرضك للخطر.»

«أين هو الآن؟»

هزت رأسها.

«لا أعرف.»

أخرجت رسالة أخرى.

«إذا عاد ياسين إلى عين السدر، فاعلمي أن سليم
سيعود أيضًا. لا تثقي بأحد قبل أن تسمعي منه
الحقيقة.»

كان توقيع الرسالة اسمًا واحدًا :
عبدالقادر .

قال ياسين:

«هل أنت متأكدة أن أبي كتبها؟»
«نعم.»

«إذن فهو كان حيًا بعد الحريق.»
لم تجب أمه .

في اليوم التالي، ذهب ياسين إلى المدرسة القديمة التي
تعلم فيها طفلًا .

كانت المدرسة مهجورة، وقد تهدمت أجزاء من سقفها.
وجد في أحد الفصول خزانة معدنية صغيرة تحمل الرمز
نفسه .

فتحها بالخاتم .

في الداخل، وجد دفترًا مدرسيًا قديمًا، وصورة لطفلين
متشابهين، ورسالة قصيرة:

«إلى أخي ياسين. إذا كنت تقرأ هذه الكلمات، فهذا يعني
أنني فشلت في العودة إليك.»



شعرياسين بوخزة في صدره.

تابع القراءة:

«لا تبحث عني في المقبرة. لا تبحث عني في الصحراء.
ابحث عن الرجل الذي لا يذكره أحد عندما يتحدثون
عن الحريق.»

وتحت الرسالة، كان هناك اسم:

صالح بن عيسى .

لم يكن ياسين قد سمع هذا الاسم من قبل .
لكنه حين سأل عنه صاحب المقهى، تغير وجه الرجل .
قال:

«لا تذكر هذا الاسم في القرية.»

«لماذا؟»

«لأن صالح مات قبل خمسين عامًا.»

«كيف؟»

خفض الرجل صوته.

«قُتل عند بئر الغراب.»

عاد ياسين إلى المنزل، وفي طريقه لمح رجلًا يقف أمام
الباب .

كان طويلًا، يرتدي عباءة بنية، ويخفي وجهه تحت غطاء
رأس .



حين اقترب ياسين، رفع الرجل رأسه .
كان وجهه يشبه وجه ياسين تمامًا .
قال الرجل:
«أخيرًا عدت يا أخي .»
ثم سقط على الأرض .
وعلى ظهره، كان هناك جرح ينزف .

الفصل العاشر:

الرجل الذي يشبهه

نقل ياسين الرجل إلى الداخل، وأغلق الأبواب والنوافذ .
استيقظ الغريب بعد ساعة، وطلب الماء .
ناولته ياسين الكأس، ثم جلس قبالة.
«هل أنت سليم؟»
أوماً الرجل.
«كنت أظن أنك مت.»
ابتسم سليم ابتسامة حزينة.
«وأنا كنت أظن أنك نسيتني.»
«كيف نسيتك وأنا لم أعرف أنك موجود؟»
«هذه هي المشكلة.»
تبادلا النظرات طويلاً .
كان الشبه بينهما مذهلاً.
العينان، والأنف، وحتى العلامة الصغيرة قرب الحاجب
الأيمن .
لكن في وجه سليم شيء مختلف:
حزن قديم، كأنه عاش عميرين في جسد واحد .
قال ياسين:
«من جرحك؟»
«رجل يعمل لصالح منصور.»
«لماذا يريد قتلك؟»

توقف الزمن في الغرفة.

«أبي حي؟»

قال سليم:

«كان حيًا عندما رأيته آخر مرة. قبل عشر سنوات.»

«أين؟»

«تحت الأرض.»

لم يفهم ياسين .

أوضح سليم:

«هناك أنفاق قديمة تحت بئر الغراب. حُفرت منذ عقود

لتخزين الماء والوثائق. أبي اختبأ فيها بعد الحريق.»

«ولماذا لم يعد إلينا؟»

أشاح سليم بوجهه.

«لأنه كان يخاف منك.»

نهض ياسين غاضبًا.

«مني أنا؟»

«كان يقول إنك تحمل شيئًا لا نملكه نحن.»

«ماذا أحمل؟»

نظر سليم إلى الخاتم الفضي.

«أنت تحمل العلامة التي تفتح الباب الأخير.»

أمسك ياسين بالخاتم.

«أعطتني إياه نورة.»

تغير وجه سليم.

«هل رأيته؟»

«نعم.»

«إذن فقد عادت.»

«من هي؟»

صمت سليم قليلاً، ثم قال:

«نورة ليست امرأة غريبة. إنها أختنا.»

شعرياسين بأن الأرض تميد تحته.

«أختنا؟»

«كان لنا ثلاثة إخوة، لا اثنان.»

«لكن أُمي لم تقل...»

«لأنها لا تعرف.»

«كيف يمكن لأم أن تفقد ابنتها ولا تعرف؟»

قال سليم:

«في ليلة الحريق، لم يختف سليم وحده. اختفت طفلة

أيضاً. نورة كانت رضيعة. أخذها رجل من القرية وربّاه

بعيداً عن الجميع.»

«من الرجل؟»

نظر سليم نحو الباب.



«الحاج منصور.»

قبل أن يستطيع ياسين الرد، سُمع صوت طرق على الباب .

ثلاث طرقات بطيئة .

ثم جاء صوت الحاج منصور من الخارج:

«أعرف أنكما في الداخل. افتحا، فليس لدي وقت طويل.»

نظرا لأخوان إلى بعضهما .

ثم أضاف منصور:

«لقد مات أبوكما هذه الليلة.»

الفصل الحادي عشر:

اعتراف الحاج

لم يفتح ياسين الباب فورًا .
انتظر حتى وصل مراد، الذي كان قد تلقى رسالة قصيرة
منه، ثم سمح للحاج منصور بالدخول.
دخل الرجل وحده، بلا حراس، وبدأ عليه علامات
التعب .

جلس في منتصف الغرفة، ونظر إلى سليم طويلًا.

«كبرت يا بني.»

رد سليم ببرود:

«لا تنادني بني.»

أطرق الحاج رأسه.

«أستحق ذلك.»

قال ياسين:

«أخبرنا عن أبي.»

تنهد منصور.

«عبدالقادر مات قبل ساعات، في النفق القديم تحت

البئر. كنت أحاول الوصول إليه، لكنني تأخرت.»

«هل قتلته؟»

«لا.»

«هل كنت تعرف مكانه طوال هذه السنوات؟»

«كنت أعرف أنه اختبأ في الجنوب، لكنني لم أعرف
النفق الذي يعيش فيه»
ضرب سليم الطاولة.
«أنت أخذتني من أمي!»
ارتجف منصور.
«أخذتك لإنقاذك.»
«كذبت!»

«كنت في الخامسة، وكان والدك متهمًا بقتل رجلين.
هددني رجال نافذون بأنهم سيقتلونك إذا بقيت مع
عائلتك. أخفيتك بعيدًا، ثم لم أستطع إعادتك.»
قال ياسين:

«وماذا عن نورة؟»
أغمض منصور عينيه.

«هي ابنتي.»
ساد صمت ثقيل .

تابع:

«في تلك الليلة، اكتشفت أن رجالاً من خارج القرية
يريدون الاستيلاء على الأراضي والمياه. كان صالح بن
عيسى يمتلك الوثيقة التي تثبت حقوق العائلات

القديمة. قتلوا صالحًا، وأحرقوا المخزن لإخفاء الأدلة.
أبوك شاهد الجريمة، لكنه لم يستطع إنقاذ الجميع.»
«ومن قتل صالحًا؟»

قال منصور:

«من؟»

رفع الحاج عينيه إلى ياسين.

«أبوك.»

اندفع سليم نحوه، لكن مراد أمسك به .

قال منصور بسرعة:

«لم يكن الأمر كما تظنان. صالح كان يحمل سلاحًا،
وهدد بقتل الأطفال. حدث اشتباك، وأصيب برصاصة
من بندقية أبيك. لكن أباك أقسم أنه لم يقصد قتله.»
«ثم ماذا؟»

«بعد موته، اكتشفنا أن صالحًا ترك وثيقة سرية تثبت
ملكية الأرض لعائلته. أراد أبوك إعادتها، لكننا اختلفنا.
أنا أردت حماية القرية، والطاهر أراد حماية نفسه،
وأبوك أراد الاعتراف بكل شيء.»

«فقررتم التخلص منه؟»

«حاولنا منعه من الذهاب إلى السلطات. لكنه هرب إلى

الصحراء.»

قال سليم:

«وأنا؟»

خفض منصور رأسه.

«كنت شاهداً على شيء لم يكن يجب أن تراه.»

«ماذا رأيت؟»

لم يجب الحاج .

وفجأة، سمعوا صوت إطلاق نار من الخارج .

اندفع مراد نحو النافذة.

«هناك رجال يقتربون!»

نهض منصور مذعوراً.

«لقد وجدوا الوثيقة.»

سأله ياسين:

«من هم؟»

قال الحاج:

«أولئك الذين كانوا يملكون السلطة منذ البداية.»

ثم أضاف بصوت خافت:

«والذين لا يزالون يملكونها.»



الفصل الثاني عشر:

البئر التي تبتلع الأسماء

هرب الأربعة عبر ممر خلفي يؤدي إلى بساتين النخيل. كان الليل قد حل، وريج الجنوب ترتفع من جديد، حاملة معها الرمال والغبار. قادهم سليم إلى طريق ضيق بين الجبال، حتى وصلوا إلى فتحة صخرية مخفية خلف شجيرة يابسة. قال:

«من هنا ندخل النفق.»

تردد ياسين.

«هل أبي هناك فعلاً؟»

أجاب سليم:

«إن لم يكن هناك، فسنعرف أخيراً أين انتهت حكايته.» دخلوا واحداً بعد آخر.

كان النفق ضيقاً، رطباً، وملئاً بالروائح القديمة. وعلى الجدران، ظهرت كتابات باهتة وأسماء محفورة، بعضها يعود إلى عشرات السنين. في نهاية الممر، وجدوا باباً معدنياً. أدخل ياسين الخاتم في فتحة صغيرة، فسمع صوت طقطقة، وانفتح الباب ببطء. خلفه غرفة واسعة، تتوسطها طاولة حجرية.

وعلى الطاولة، كان هناك هيكل عظمي يرتدي معطفًا
بنياً .

اقترب ياسين ببطء .

كانت ساعة الجيب معلقة في جيب المعطف .
ساعة أبيه .

انحنى والتقطها، فوجد تحتها ورقة.

«إلى ياسين وسليم، إن وصلتما معًا، فاعلما أنني لم
أترككما بإرادتي. لقد حاولت العودة، لكنهم جعلوا عودتي
مستحيلة. لم أكن بريئًا تمامًا، لكنني لم أكن الرجل
الذي صنعوه في حكاياتهم.»

بدأ ياسين يبكي بصمت.

أما سليم فوقف جامدًا، كأنه فقد القدرة على الحركة .
فتح مراد صندوقًا خشبيًا قريبًا، فوجد وثائق قديمة،
وسجلات ملكية، ورسائل مختومة .

قال:

«هذه هي الوثيقة التي يبحثون عنها.»

لكن الحاج منصور كان ينظر إلى شيء آخر .

في الجدار المقابل، ظهرت عبارة محفورة:

«لا تصدقوا الرجل الذي يأتي بعد الموت.»

سأل ياسين:



«ما معنى هذا؟»
قبل أن يجيب أحد، انغلق الباب المعدني خلفهم .
ثم انطفأت المصابيح .
سمعوا صوت خطوات داخل النفق .
خطوات بطيئة، ثابتة، لا تشبه خطوات الرجال الأربعة .
ثم جاء صوت من الظلام:
«أحسنتم. لقد أحضرتم الوثيقة إليّ.»
أضاء ضوء قوي الغرفة .
ظهر رجل يرتدي ملابس سوداء، يحمل مسدسًا، وعلى
وجهه ندبة قديمة .
نظر إليه منصور، ثم سقط على ركبتيه.
«مستحيل ...»
ابتسم الرجل.
«مرحبًا يا منصور.»
صاح ياسين:
«من أنت؟»
أجاب الرجل:

«أنا صالح بن عيسى.»
الرجل الذي قيل إنه مات قبل خمسين عامًا.
والرجل الذي اعترف منصور بأن ياسين قتله.



الفصل الثالث عشر:

صالح يعود من الموت

لم يتكلم أحد .

كان صالح يقف أمامهم كأنه خرج من صورة قديمة. لم يكن شبحًا، ولا مخلوقًا خارقًا، بل رجلًا حيًا، متعبًا، يحمل في وجهه آثار سنوات طويلة من الاختباء. قال ياسين:

قال ياسين:

«كيف بقيت حيًا؟»

ضحك صالح.

نظر إلى منصور.

«أخبرهم بالحقيقة.»

لم يستطع الحاج الكلام.

تابع صالح:

«في تلك الليلة، أطلق عبدالقادر النار، لكن الرصاصة أصابت كتفي. سقطت في البئر، وظنوا أنني مت. أما الجثة التي دفنوها، فكانت جثة رجل آخر قُتل قبل الحريق.»

قال مراد:

«إذن من مات في البئر؟»



«رجل لا يعرف أحد اسمه الحقيقي. كان شاهداً على شبكة سرقة الأراضي، وقتلوه لأنهم ظنوا أنه يحمل الوثيقة.»

سأله ياسين:

«ولماذا لم تعد طوال هذه السنوات؟»

تغير وجه صالح.

«لأنني لم أكن أريد العدالة وحدها. كنت أريد الانتقام.»
اقترب من الطاولة وأخذ الوثيقة.

«هذه الأرض ملك لعائلي، وهذه القرية كلها بُنيت على كذبة. سأحرق كل شيء حتى لا يبقى أحد ليكذب مرة أخرى.»

صاح ياسين:

«هناك أطفال وعائلات لا ذنب لهم!»

«وهل فكروا في عائلي عندما طردونا؟»

أخرج صالح مسدسه ووجهه نحو منصور.

«أنت أخذت ابنتي.»

ارتجف الحاج.

«كنت أحاول حمايتها.»

«سرقنا طفلة من أمها، ثم ادعيت أنك أنقذتها!»

قال منصور:



«نورة لم تكن تعرف الحقيقة.»

«لكنها تعرف الآن.»

تبادل ياسين وسليم النظرات .

كانت نورة أختهما، وابنة صالح أيضًا .

قال ياسين:

«أين نورة؟»

ابتسم صالح.

«في القرية. تنتظر أن أعود.»

«لن تعود إذا قتلتنا.»

«أنا لا أريد قتلكما.»

نظر إلى سليم.

«أريد أن أعرف أيكما يستحق الحياة.»

رفع مسدسه، ووجهه بين الأخوين .

قال:

«أحدكما يعرف الحقيقة كاملة. والآخر لا يعرف حتى

اسمه.»

ثم ضغط على الزناد.

لكن الرصاصة لم تخرج. كان السلاح فارغًا .

في اللحظة نفسها، انطفأ الضوء، وسمعوا صرخة رجل،

ثم ارتطام جسد بالأرض .



حين عاد الضوء، كان صالح قد اختفى .
أما الوثيقة، فكانت لا تزال فوق الطاولة.
وعلى الأرض، قرب باب النفق، وجد ياسين ورقة جديدة .
كانت مكتوبة بخط أبيه.
«إذا عاد صالح، فلا تثقوا بوجهه. لقد تعلم كيف يغيّر
الحقيقة حتى تصبح الجريمة بطولة.»

الفصل الرابع عشر:

نورة تعرف كل شيء

عادت المجموعة إلى القرية قبل الفجر.
كان صالح قد اختفى في شبكة الأنفاق، لكنهم امتلكوا
الآن الوثائق التي يمكن أن تكشف حقيقة ما جرى. أصر
ياسين على العثور على نورة.
وجدوها في بيت الغريبة، جالسة قرب النافذة، كأنها
كانت تنتظرهم.
قالت حين رأيهم:
«رأيتكم أبي.»
لم يكن سؤالاً.
جلس ياسين أمامها.
«هل كنت تعرفين أنه حي؟»
«عرفت منذ ثلاث سنوات.»
«ولماذا لم تخبرينا؟»
أجابت بمرارة:
«لأنه لم يرد أن تعرفوا. كان يريد استخدامي للوصول إلى
الوثيقة.»
«لكنه أبوك.»
«الأبوة ليست كلمة تكفي لتبرير كل شيء.»
سكتت لحظة، ثم أضافت:

«لقد أخبرني أن عبدالقادر قتل صالحًا، وأن الحاج منصور سرقني من أمي. لكنه لم يخبرني أنه هو الذي أشعل النار في المخزن.»

نظر إليها ياسين.

«كيف عرفت؟»

أخرجت دفترًا قديمًا.

«وجدت هذا بين أغراضه. اعتراف بخط يده.»

فتحت الصفحة الأولى.

«أنا صالح بن عيسى. في الليلة التي احترق فيها المخزن، أشعلت النار لإخفاء الوثائق التي تثبت أنني بعت الأرض بنفسي، ثم ادعيت أن رجالاً سرقوها مني. أردت المال، وحين اكتشفت أن شركائي سيقتلونني، اختبأت في البئر، وتركت الجميع يعتقدون أنني مت.»

صمتت الغرفة .

تابعت نورة:

«أبي لم يكن ضحية بريئة. كان شريكًا في الجريمة منذ

البداية.»

قال مراد:

«إذن لماذا اتهم عبدالقادر؟»

«لأن عبدالقادر اكتشف الحقيقة. أطلق النار على صالح حين حاول قتله، ثم اعتقد أنه مات. وعندما عاد إلى القرية، وجد أن كل شيء انقلب عليه. لم يصدق أحد روايته.»

قال ياسين:

«لكن أبي كتب أنه لم يكن بريئاً تماماً.»
«لأنه ساعدهم في إخفاء جثة الرجل المجهول. لم يكن قاتلاً متعمداً، لكنه خاف، وسكت، وسمح للظلم بأن يستمر.»

نهض سليم.

«وماذا عني؟ لماذا أخذني منصور؟»

نظرت نورة إليه.

«لأنك رأيت وجه الرجل الذي مات في الحريق.»

«من كان؟»

أجابت:

«كان أخانا الأكبر.»

ساد الصمت .

حدق ياسين في أخته.

«ماذا تقولين؟»

قالت نورة:



«كان لديكم أخ أكبر اسمه أمين. لم تخبركم أمكم عنه لأنه مات قبل ولادتكما بسنوات. كان يعمل مع صالح، واكتشف أنه يسرق أراضي الناس. وفي تلك الليلة، حاول إخراج الوثائق من المخزن، فقتل.»
شعرياسين أن كل شيء ينهار حوله .
كان الماضي أكثر ظلمة مما تصور.
لكن السؤال الذي لم يجد له جوابًا بقي معلقًا :
إذا كان صالح قد اعترف بكل شيء، فلماذا قال إن أحد الأخوين لا يعرف اسمه الحقيقي؟

الفصل الخامس

عشر:

ليلة المحاكمة

في صباح اليوم التالي، اجتمع أهل عين السدر في الساحة الكبرى.

انتشرت الأخبار عن عودة صالح، وعن الوثائق القديمة، وعن جريمة الحريق التي أخفاها وجهاء القرية لسنوات . وقف ياسين أمام الناس، وإلى جانبه سليم ونورة ومراد. قرأ أسماء العائلات التي سُلبت أراضيها، وعرض الوثائق التي تثبت حقوقها.

ثم قرأ اعتراف صالح، وكشف دور منصور والطاهر ووالد مراد في إخفاء الحقيقة . لم ينكر الحاج منصور شيئاً . وقف أمام الناس وقال:

«كنت جباناً. ظننت أن حماية سمعتي أهم من الاعتراف. ساعدت في إخفاء ما حدث، ودفعت الثمن طوال حياتي.» أما مراد، فبكى وهو يسمع اسم أبيه. قال أحد الرجال:

«وما ذنبنا نحن؟ لقد بنينا بيوتنا وعشنا هنا لأنهم قالوا لنا إن الأرض ملكهم.» أجابه ياسين:

«لا ذنب لكم في ما فعله آباؤكم. لكنكم تصبحون شركاء في الظلم إذا عرفتم الحقيقة ورفضتم الاعتراف بها.»



ساد صمت طويل.

ثم تقدمت امرأة عجوز من الصفوف الخلفية.

كانت ترتدي ملاءة بيضاء، وتحمل عصًا خشبية. قالت:
«أنا أرملة أمين. انتظرت خمسين عامًا لأعرف أين دُفن
زوجي.»

التفت الجميع إليها.

كانت هذه أول مرة يسمعون فيها أن الرجل المجهول الذي
مات في الحريق له عائلة لا تزال حية .
أعطت ياسين رسالة.

«وجدتها بين أغراضه. كتبها قبل موته بيوم.»
فتحها .

كان فيها:

«إذا حدث لي شيء، فاعلموا أن الحقيقة ليست في
الوثيقة التي سرقوها، بل في الاسم الذي محوه منها.»
نظر ياسين إلى الوثيقة الأصلية .

كانت تحمل أسماء المالكين القدامى، لكن أحد الأسماء
مُحي بعناية .

اسم عائلة كاملة.

قالت العجوز:

«أمين لم يكن وحده في المخزن. كان معه طفل صغير.»

تجمد سليم.

«أي طفل؟»

نظرت العجوز إليه طويلاً .

ثم قالت:

«طفل لم يكن من المفترض أن ينجو من الحريق.»

قبل أن تتمكن من الكلام أكثر، انطلقت رصاصة من

سطح مبنى قريب .

سقط الحاج منصور أرضاً .

عمّت الفوضى الساحة .

ركض الناس في كل اتجاه، بينما انحنى ياسين فوق الحاج .

كان الدم يتسرب من صدره .

همس منصور:

«لا تبحثوا عن صالح...»

ثم أمسك بيد ياسين بقوة.

«ابحث عن الرجل الذي جاء معك من المدينة.»

وقف قلب الحاج قبل أن يكمل .

رفع ياسين رأسه نحو مراد وسليم ونورة .

كانوا جميعاً أمامه.

لكن حين عدّهم بعينيه، شعر برعب لم يعرفه من قبل .

كان هناك رجل خامس يقف خلفهم .



رجل يشبه تمامًا.

الفصل السادس

عشر:

الوجه الخامس

لم يجرؤ ياسين على الحركة .
كان الرجل الخامس يقف عند طرف الساحة، مرتديًا
قميصًا أبيض ملطخًا بالغبار، ووجهه يحمل الشبه
نفسه الذي رآه في المرأة طوال حياته.

قال سليم:

«ياسين... من هذا؟»

لم يجب .

اقترب الرجل ببطء.

«أخيرًا اجتمعنا»

صاح ياسين:

«من أنت؟»

أجاب الرجل:

«أنا أخوك»

تراجع سليم.

«هذا مستحيل. نحن توأمان.»

ابتسم الغريب.

«أنتما التوأمان اللذان عرفتهما أمكما. أما أنا، فقد كنت

هنا قبل أن تولدا.»

صرخت نورة:

«أمين؟»

هز الرجل رأسه.

«لا.»

ثم رفع يده إلى وجهه ونزع قطعة رقيقة من الجلد الصناعي كانت تغطي جزءًا من خده.

لم يكن وجهه مطابقًا تمامًا لوجه ياسين، بل كان يشبه وجهًا آخر رأوه في الصور القديمة.

وجه عبدالقادر.

قال الرجل:

«أنا ابن عبدالقادر الأول.»

تراجع ياسين حتى اصطدم بأحد الأعمدة.

«أنت قلت إن أخانا الأكبر مات.»

نظر الرجل إلى نورة.

«لم يمت أمين. مات الرجل الذي كان يرتدي اسمه.»

تجمعت الأسئلة في رأس ياسين.

«من أنت إذن؟»

أجاب الغريب:

«اسمي الحقيقي هو عبدالقادر بن عبدالقادر. سماني

أبي بهذا الاسم قبل أن يقرر محوي من حياته.»

قال مراد:

«لكن أباك كان يعرفك.»

«نعم. وكان يعرف أنني حي.»

«لماذا لم يخبرنا؟»

ابتسم الرجل بمرارة.

«لأنني لم أكن ابنه بالطريقة التي تتصورونها.»

أخرج وثيقة قديمة من جيبه.

«قبل ولادة أمين، كان أبي متزوجًا من امرأة أخرى.

أنجبت له طفلًا، ثم ماتت في ظروف غامضة. أخذ

الطفل رجل غريب، ورباه بعيدًا عن القرية. ذلك الطفل

كان أنا.»

قال ياسين:

«إذن أنت أخونا من أبيك.»

«هذا ما قيل لكم.»

اقترب الغريب، وخفض صوته.

«لكن الحقيقة أنني ابن الرجل الذي قُتل في الحريق،

صالح بن عيسى.»

ساد الصمت.

«كيف يكون ذلك؟»

أجاب:

«صالح كان متزوجًا من امرأة قبل أن يختفي. حين ماتت، أخذ عبدالقادر الطفل ورباه باسمه، حتى لا يعرف أحد أن صالحًا كان له وريث.»

تراجع سليم.

«إذن أنت ابن الرجل الذي يريد الانتقام منا.»

«وأنا أيضًا الرجل الذي يريد أن يعرف لماذا تركني الجميع أعيش كذبة.»

نظر الغريب إلى ياسين.

«أبي الحقيقي لم يكن صالحًا فقط. كان الرجل الذي قُتل في الحريق. أما صالح الذي عاد، فهو عمي.»

قالت نورة:

«إذن من الذي قتل منصور؟»

رفع الرجل يده .

كان يحمل مسدسًا.

«أنا.»

ثم أطلق النار في الهواء.

«والآن، سنذهب إلى البئر. هناك شيء واحد لم تعرفوه

بعد.»

الفصل السابع عشر:

الوثيقة الأخيرة

قاد الرجل الخامس ياسين وسليم ونورة ومراد إلى بئر الغرب.

لم يكن لديهم خيار آخر.

كان يحمل مسدسًا، ويعرف أن أي محاولة للهروب قد تؤدي إلى سقوط ضحايا آخرين.

كانت الريح تشتد، والرمال ترتفع حولهم كستار كثيف. قال ياسين:

«لماذا قتلت منصور؟»

أجاب الرجل:

«لأنه قتل أبي.»

«أنت قلت إن صالحًا أبوك.»

«قلت إن صالحًا عمي. أما أبي الحقيقي، فهو الرجل الذي مات في الحريق. اسمه أمين بن صالح.»

توقف ياسين.

«لكن نورة قالت إن أمين كان أخانا الأكبر.»

«كان أخاكم من جهة أبيكم، لأن عبدالقادر تبناه. لكن ذلك لم يكن كافيًا لإنقاذه.»

وصلوا إلى البئر.

أخرج الرجل مفتاحًا نحاسيًا، وفتح بابًا حجريًا صغيرًا تحت الأرض.

داخل الغرفة، وجدوا صندوقًا آخر .
كان عليه ختم قديم، وبجانبه كتابة:
«لا يُفتح إلا إذا اجتمع الأبناء الثلاثة.»
قالت نورة:

«نحن ثلاثة.»

ضحك الرجل.

«بل أربعة.»

ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة، عليها أسماء أربعة
أطفال :

أمين .

سليم .

ياسين .

نورة .

وتحت الأسماء، اسم خامس مشطوب.

«من هذا؟» سأل مراد.

قال الرجل:

«الطفل الذي مات بدلاً من أمين.»

فتح الصندوق .في الداخل، وجدوا شهادة ميلاد، وسجلًا
طبيًا قديمًا، ورسالة مختومة .

قرأ ياسين الشهادة .

ثم شحب وجهه.

لم يكن اسم أبيه عبدالقادر كما عرفه طوال حياته .كان

اسم أبيه الحقيقي صالح بن عيسى .

أما الرجل الذي رباه، فكان أخا صالح، عبدالقادر، الذي

أخذ الطفل بعد وفاة أمه.

رفع ياسين رأسه.

«هذا يعني أن...»

قال الرجل:

«نعم. أنت وسليم لستما ابني عبدالقادر البيولوجيين.»

صاح سليم:

«كذب! »

مد إليه الورقة .

كانت تحتوي على اعتراف الطبيب كمال بأن الطفلين

وُلدا من أم واحدة، لكن أباهما الحقيقي كان صالح بن

عيسى .

أما نورة، فقد كانت ابنته من زواج آخر .

قال ياسين:

«إذن نحن جميعًا أبناء صالح؟»

أجاب الرجل:

«نعم. لكن هناك سرًّا أخيرًا.»

فتح الرسالة المختومة .

كانت بخط عبدالقادر:

«إذا وصلت هذه الرسالة إلى أبنائي، فاعلموا أنني لم أكن أباكم بالدم، لكنني كنت أباكم بالاختيار. لقد أخذتكم من رجل لم يعرف كيف يحب سوى الانتقام، وربيتكم بعيداً عنه. كنت أظن أنني أستطيع حمايتكم من الحقيقة، لكنني نسيت أن الحقيقة لا تموت.»
بدأ ياسين يشعر بالغثيان.

«إذن أبي الحقيقي هو صالح.»

قال الرجل:

«صالح الذي تعرفونه ليس أباكم وحده. إنه الرجل الذي تسبب في موت أمكم الأولى، ثم حاول أن يعيدكم إليه بالقوة.»

«أي أم؟»

أجاب الرجل:

«أمكم البيولوجية ماتت في الحريق.»

وفي تلك اللحظة، دوى صوت خلفهم:

«كفى.»

كان صالح يقف عند مدخل النفق. وفي يده بندقية.

الفصل الثامن عشر:

اعتراف صالح

وقف صالح أمام أبنائه، وقد غطت الرمال كتفيه ووجهه .

لم يعد يبدو كالرجل الذي خطط للانتقام، بل كشيخ
أنهكه الهروب، وأدرك أن الماضي الذي حاول السيطرة
عليه صار أقوى منه .
قال:

«كنت أعرف أن هذا اليوم سيأتي.»

وجه ياسين كلامه إليه:

«هل قتلت أمنا؟»

أغمض صالح عينيه .

«لم أقصد قتلها.»

«هذا ليس جوابًا.»

تنهد صالح.

«في ليلة الحريق، حاولت أمكم الهرب بالأطفال والوثائق.

منعتها، فتشاجرنا. سقط المصباح، واشتعل المخزن.

حاولت إنقاذها، لكن النار كانت أسرع مني.»

صرخت نورة:

«إذن أنت السبب! »

«نعم.»

«وأمين؟»



«كان يحاول إنقاذ أمه.»
«والرجل الذي مات بدلاً منه؟»
خفض صالح رأسه.
«كان ابناً آخرلي. طفلاً لم تعرفوا بوجوده.»
شعر سليم أن الأرض تختفي تحته.
«كم طفلاً أنجبت؟ وكم طفلاً ضحيت به من أجل
المال؟»
رفع صالح عينيه.
«لم يكن المال وحده. كنت أريد أن أملك كل شيء حتى
لا يستطيع أحد أن يسلبني شيئاً مرة أخرى.»
قال ياسين:
«فصرت أنت الذي يسلب الآخرين.»
لم يجبه صالح .
اقترب من الصندوق، وأخرج وثيقة أخيرة.
«هذه هي الحقيقة الكاملة. الأرض ليست ملكاً لعائلي
وحدها. إنها ملك لأهل القرية جميعاً، لأن أجدادهم
اشترؤا أجزاء منها، وساعدوا عائلي حين فقدت كل
شيء.»
قال مراد:
«إذن لماذا أخفيت الوثيقة؟»

«لأنني كنت سأخسر السيطرة.»
«وهل يستحق ذلك أن يموت كل هؤلاء؟»
لم يجد صالح جوابًا .
في تلك اللحظة، رفع الرجل الخامس مسدسه ووجهه
إلى صالح.
«أنت قتلت أبي.»
قال صالح:
«أعرف.»
«وسأقتلك الآن.»
لم يتحرك صالح.
«إذا فعلت، فلن يتغير شيء. ستصبح نسخة مني.»
ارتجفت يد الرجل .
قال ياسين:
«ضع السلاح.»
لكن الرجل لم يسمع .
أطلق رصاصة.
قفز سليم نحو صالح، فأصابته الرصاصة في كتفه .
صرخت نورة .
اندفع ياسين إلى أخيه، بينما استغل صالح الفوضى
وهرب عبر النفق .

ركض الرجل الخامس خلفه .
أما ياسين فبقي إلى جانب سليم، يضغط على جرحه .
همس سليم:
«لا تدعه يهرب.»
قال ياسين:
«لن أتركك.»
ابتسم سليم رغم الألم.
«أنت دائمًا كنت تختار إنقاذ الناس... حتى حين يكون
إنقاذهم هو ما يدمر حياتك.»
ثم أغمض عينيه.

الفصل التاسع عشر:

حين انكشفت الرمال

نُقل سليم إلى المستشفى، ونجا من الإصابة بعد عملية جراحية طويلة.

أما ياسين، فعاد إلى البئر مع رجال الأمن الذين وصلوا إلى القرية بعد العثور على الوثائق .

اختفى صالح، واختفى الرجل الخامس أيضاً .

لكن هذه المرة، لم تعد الحقيقة حبيسة الصحراء .بدأت التحقيقات تكشف شبكة قديمة من تزوير الملكيات، والابتزاز، وإخفاء الجرائم.

وأعيد فتح ملفات اختفاء أشخاص لم يعرف أحد مصيرهم طوال عقود.

أما أهل عين السدر، فقد اجتمعوا في الساحة، وقرروا تشكيل لجنة لحصر الأراضي وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين .

كانت القرية تتغير .

لكن ياسين لم يشعر بالراحة .

كان يبحث عن أمه .

لم يكن قد رأى زينب منذ الليلة التي نقل فيها سليم إلى المستشفى .



عاد إلى البيت، فوجد الباب مفتوحًا، والنافذة التي كانت تجلس عندها أمه تتحرك بفعل الريح .

نادى :

«أمي!»

لم يجبه أحد .

دخل غرفتها .

كان السرير مرتبًا، والثياب في مكانها، لكن الصندوق الخشبي اختفى .

وعلى الطاولة، وجد رسالة.

«يا ياسين، سامحني لأنني تركتك تبحث عن حقيقة كنت أعرفها منذ البداية. لم أرد أن أدمرك، لكنني كنت أخاف أن تكتشف أنك بنيت حياتك على اسم ليس اسمك.»

قرأ الرسالة مرات

ثم تابع:

«إذا أردت معرفة من أنت حقًا، فإذهب إلى البيت الذي

ولدت فيه. ليس بيتنا في عين السدر، بل البيت الذي

احترق قبل خمسة وثلاثين عامًا.»



كان أسفل الرسالة عنوان قديم، وإحداثيات لمنطقة بعيدة في الصحراء.

انطلق ياسين مع مراد إلى المكان.

وصلوا بعد ساعات إلى أطلال منزل حجري، لم يبق منه سوى جدران سوداء وأرضية متشققة.

في زاوية الغرفة، وجد ياسين صندوقًا معدنيًا صغيرًا. فتحه.

في الداخل، كانت هناك صورة لزينب وهي شابة، تقف بجانب رجل يشبه ياسين.

وعلى ظهر الصورة، كُتبت عبارة:

«إلى ابني الذي لم يعرفني.»

ثم وجد شريط تسجيل قديمًا.

شغله على جهاز صغير عثر عليه داخل الصندوق.

جاء صوت امرأة.

كان صوت أمه.

«يا ياسين، إذا كنت تسمع هذا التسجيل، فهذا يعني أن

صالحًا عاد إليك. لكن هناك شيئًا لم أخبرك به. الشيء

الذي لا يعرفه حتى سليم.»



توقف التسجيل لثواني .

ثم قالت:

«أنت لم تولد في الليلة التي قيل لك إنك ولدت فيها. لقد أخذتك من المستشفى بعد أن مات طفلي الحقيقي. كنت أعمل ممرضة، وكان صالح يطاردني. لم أستطع تركك معه، فأخفيتك وربيتك كابني.»

شعرياسين أن الهواء اختفى من المكان .

تابع الصوت:

«لم تكن ابن صالح، ولا ابن عبدالقادر. لم تكن أخًا لسليم أو نورة أو الرجل الخامس بالدم. كنت طفلًا آخر، من عائلة أخرى، لكنني أحببتك كما لو أنك خرجت من قلبي.»

انقطع التسجيل .

لم يتحرك ياسين.

ثم لاحظ ورقة صغيرة في أسفل الصندوق .

كانت شهادة ميلاد أصلية، تحمل اسمًا واحدًا :

ياسين بن صالح بن عيسى.

لكن تاريخ الميلاد كان مختلفًا .

والأم المسجلة لم تكن زينب .

كانت نورة.

نظرياسين إلى مراد، الذي بدا عاجزًا عن الكلام .

ثم سمعا صوت سيارة تتوقف خارج الأطلال .

دخل رجل يرتدي معطفاً أسود .

كان الرجل الخامس .

قال بهدوء:

«الآن فقط بدأت تعرف الحقيقة.»

الفصل العشرون:

ريح الجنوب

لم يرفع الرجل الخامس سلاحه .

وقف أمام ياسين، وحدث في شهادة الميلاد التي يحملها.

قال:

«هل فهمت الآن لماذا كنت أقول إنك لا تعرف اسمك

الحقيقي؟»

لم يستطع ياسين الرد .

تابع الرجل:

«أنا لست أخاك من أبيك فقط. أنا أخوك من أمك

أيضاً.»

رفع ياسين عينيه.

«نورة؟»

أوماً الرجل.

«كانت نورة زوجة أبي الحقيقية، قبل أن يأخذها

صالح منه بالقوة. أنجبت طفلين: أنا، ثم أنت. لكنها

فقدتك بعد الولادة، وظنت أنك مت.»

تراجع ياسين.

«لكن أُمي... زينب...»

«زينب لم تكن أمك البيولوجية. كانت الممرضة التي أنقذتك وربتك. أما نورة، فقد عاشت سنوات تبحث عنك دون أن تعرف أنك أمامها.»

شعرياسين بدوار شديد .

كل شيء كان كذبة .

أبوه، وأمه، وأخوه، وحتى اسمه.

قال بصوت مبسوح:

«لماذا لم تخبرني نورة؟»

أجاب الرجل:

«لأنها لم تعرف إلا مؤخرًا. حين أعطتك الخاتم، كانت تختبرك. أرادت أن تعرف هل ستبحث عن الحقيقة أم

ستكتفي بما يقوله الناس.»

«وأنت؟ لماذا قتلت منصور؟»

«لأنه كان يعرف الحقيقة، ولأنه أخفى عني أن أمي لا

تزال حية.»

«لكن منصور مات.»

«نعم.»

«وأنت قتلت رجلاً.»

خفض الرجل رأسه.

«أعرف.»

ساد صمت طويل.

ثم قال:

«اسمي الحقيقي أمين.»

ارتجف ياسين .

أمين .

الاسم الذي قيل إنه مات في الحريق .

الاسم الذي حملته الوثائق، والاسم الذي أخفاه

الجميع .

قال ياسين:

«لكن أمين كان ابن صالح.»

أجاب الرجل:

«كان اسمي الذي أعطاني إياه أبي بالتبني. أما اسمي

الحقيقي، فهو أمين بن عبدالقادر.»

«إذن عبدالقادر هو أبوك الحقيقي؟»

«نعم. وقد رباني بعيدًا عن صالح حتى لا يقتلني. ثم

أعطاك لزينب كي يحميك أنت أيضًا.»

جلس ياسين على حجر محطم .

لم يعد يعرف من يكون .

كان يظن أنه يبحث عن أبيه، فاكتشف أنه يبحث عن نفسه .

وكان يظن أن ريح الجنوب تحمل أصوات الموتى، لكنها كانت تحمل أصوات الأحياء الذين دفنوا الحقيقة خوفاً من أن يخسروا كل شيء .
قال أمين:

«هناك أمر أخير.»
أخرج من جيبه ظرفاً مختوماً.
«هذه رسالة من عبدالقادر. كتبها قبل موته.»
فتح ياسين الظرف .
كانت الرسالة قصيرة:

«يا بني، إن كنت تقرأ هذه الكلمات، فاعلم أنني لم أختار أن أكون أباك بالدم، لكنني اخترت أن أكون أباك بالفعل. لقد حاولت حمايتك من الحقيقة، وفشلت. لكنني أرجوك: لا تجعل الدم يحدد من تحب، ولا تجعل الماضي يقرر من تصبح.»
أغلق ياسين الرسالة .

ثم سأل أمين:

«أين صالح؟»

نظر الرجل نحو الصحراء.

«هرب إلى الجنوب. لكنه لن يذهب بعيداً.»
في تلك اللحظة، هبت ريح ساخنة، وارتفعت الرمال
حول البيت المحترق .
سمع ياسين صوتاً خلفه.
«ياسين...»
التفت .
كانت نورة تقف عند مدخل الأطلال، ووجهها شاحب،
وعيناها ممتلئتان بالدموع.
قالت:
«أخيراً وجدتك يا بني.»
لم يتحرك ياسين .
اقتربت نورة، ومدت يدها نحوه.
«سامحني. لم أكن أعرف أنك ابني.»
نظر إليها طويلاً .
ثم سألها السؤال الذي ظل يطارده منذ عودته إلى عين
السدر:
«إذا كنتِ أُمي، فلماذا تركتيني؟»
انهارت نورة باكية.
«لأنني ظننت أنك مت.»
أغمض ياسين عينيه .

لم يعرف هل يصدقها، أم يكرهها، أم يعانقها .
لكنه في النهاية مد يده وأمسك بيدها .
وفي اللحظة نفسها، سُمع صوت انفجار بعيد .
التفت الجميع نحو الجنوب .
كان عمود من الدخان الأسود يرتفع خلف الكثبان الرملية .
قال أمين:
«إنه صالح.»
ركضوا نحو السيارة، وانطلقوا باتجاه البئر .
وصلوا بعد نصف ساعة .
وجدوا سيارة محترقة، وبجانها آثار أقدام تمتد نحو الكثبان .
لم يكن هناك جسد .
ولا أثر لصالح .
فقط ساعة جيب قديمة، توقفت عقاربها عند الثانية عشرة وسبع عشرة دقيقة .
التقطها ياسين .
ثم سمع صوتًا يأتي من خلفه:
«تأخرت يا بني.»
تجمد في مكانه .

كان الصوت صوت عبدالقادر .
التفت ببطء .
لم ير أحداً .
لكن فوق الرمل، ظهرت آثار أقدام جديدة، تسير نحو
الجنوب .
خطوة بعد خطوة.
ثم تختفي فجأة .
اقترب أمين من أخيه، وهمس:
«هل سمعت ما سمعت؟»
لم يجبه ياسين .
كان ينظر إلى الأفق .
وفجأة، هبت ريح الجنوب بعنف، حتى غطت السماء
بالرمال.
أغمض الجميع أعينهم، وحين انحسرت العاصفة بعد
دقائق، لم يجدوا الساعة في يد ياسين .
اختفت .
وعلى الرمل، حيث كانت السيارة المحترقة، ظهرت
كتابة واضحة كأن أحداً رسمها قبل لحظات:
«الحقيقة الأخيرة لم تُكشف بعد.»
قرأها ياسين بصوت مرتجف .

ثم رأى شيئاً جعل الدم يتجمد في عروقه .
كانت هناك آثار أقدام خمسة رجال تتجه نحو
الصحراء .

لكن واحدًا منها كان يسير إلى الخلف .
اقترب من الأثر، وركع ليفحصه .
وجد تحت الرمل صورة صغيرة.
التقطها .

كانت صورة عائلية قديمة تضم عبدالقادر وزينب
وصالح ونورة وأمين وسليم .
وفي وسط الصورة، وقف طفل صغير يحمل ساعة
الجيب .

كان الطفل ياسين .
لكن خلفه، عند طرف الصورة، وقف رجل آخر لم
يعرفه أحد .

رجل يشبه ياسين تمامًا .
وعلى ظهر الصورة، كانت هناك عبارة مكتوبة بخط لم
يره من قبل:

«إلى ياسين... الابن الذي لم يولد بعد.»
رفع ياسين رأسه نحو الصحراء .

لم يعد يعرف كم أخًا له، ولا كم أبًا، ولا كم مرة مات
ثم عاد في حكايات الآخرين .
لكنه أدرك شيئًا واحدًا :
أن ريج الجنوب لم تكن تطارد عائلته لتكشف الماضي
فحسب .
كانت تمهد لعودة شخص لم يعرفوا يومًا أنه موجود .
وفي البعيد، وسط الرمال المتحركة، ظهر ظل رجل
يقف ساكنًا .
رفع الرجل يده، ولوّح لياسين .
ثم اختفى داخل العاصفة .
لم يكن ياسين يعرف أن تلك اللحظة ستغيّر حياته مرة
أخرى .
ولم يكن يعرف أن الرسالة التي ستصل إليه في الليلة
التالية ستبدأ بجملة واحدة:
«أنا لست أخاك... أنا أنت.»

النهاية

فهرست

العنوان	الرقم
مقدمة	08
التعريف الكامل بأبطال رواية «ريج الجنوب»	11
الفصل الأول: الليلة التي عادت فيها الريح	26
الفصل الثاني: عودة ياسين	31
الفصل الثالث: دفتر الموتى	36
الفصل الرابع: المرأة التي لا تشيخ	41
الفصل الخامس: الحاج منصور	46
الفصل السادس: الدم على العتبة	51
الفصل السابع: محطة القطار القديمة	56
الفصل الثامن: قبر بلا اسم	61
الفصل التاسع: الأخ الذي محته الذاكرة	67
الفصل العاشر: الرجل الذي يشبهه	72
الفصل الحادي عشر: اعتراف الحاج	77
الفصل الثاني عشر: البئر التي تبتلع الأسماء	81
الفصل الثالث عشر: صالح يعود من الموت	86
الفصل الرابع عشر: نورة تعرف كل	90

شيء	
95	الفصل الخامس عشر: ليلة المحاكمة
100	الفصل السادس عشر: الوجه الخامس
105	الفصل السابع عشر: الوثيقة الأخيرة
110	الفصل الثامن عشر: اعتراف صالح
115	الفصل التاسع عشر: حين انكشفت الرمال
121	الفصل العشرون: ريج الجنوب